النتاج الجديد

عبقرية المسيح

بقلم عباس محمود العقاد

منشورات دار « اخبار اليوم » ، القاهرة

قرأت قولاً للناقد الانكليزي المعاصر « هولنغورث » ، ينصح فيه كل ناقد أو أديب ألاّ ينقد رصانته أمام الأثر الذي يقرأه ، فيصرخ بوجهه صرخة البهلول : هذا رائع ..! هذه عبقرية ..! أو ، هذا سخف ..! هذه ركاكة ..! بل عليه أن يلتمس جوانب الجمال والحقيقة في الأثر الذي يستعرضه ، وأن يزنه بالمعايير الانسانية الباقية ، وإلا كانت صرخته صرخة بهلول أهوج !

ولكني مع ذلك ، أجد نفسي ذلك البهلول الأهوج ، كلما قرأت كتاباً أو استعرضت أثراً فنياً من الآثار . فتخرج من فمي كلمات السخط أو الاستحسان على غيبة مني ، ثم اتنحنح وابتلعها لئلا تسمعها أمي ، فتلعن حرفة الأدب ، التي أهلكت الأقوام من قبلي وستهلك من لحق .

فاني منذ أن خفق القلب ، وارتعشت أطراف ذلك اليافع المشبوب الذي كدتُ أنساه ، والذي يكتب سطور اليوم ، قررت ألاّ أنتصح بنصيحة أحد قط ، ولو شبعتُ جوعاً في الأوحال ، وفي حراسة الأفاعي والشياطين .

لذلك فقد أردت أن أنفلت من يد هذا الناصح الأمين « هولنغورث » الذي أوشك أن يستتيبني ، فأتوب وأدخل في طاعته ، لولا غضبة ربك ، وبقية من فتون . إذ كنت أقرأ كتاب صديق العباقرة الاستاذ العقاد « عبقرية المسيح » ، فما انتهيت من سطره الأخير حتى صرخت : « بهلوان بارع أنت يا عقاد ..! » ثم تذكرت منظومته الجميلة في حديقة الحيوان عن « الشمبنزي البهلوان » ، فضحكت وأطفأت المصباح ، ورحت أحلم في الظلام وحدي ! وبذلك خرجت عن نصيحة ذلك الناقد السكسوني النبيل ، لأصيب الحرام في شرعته !

ولكن يا قارئي العزيز .. العزيز حقاً !

أستحلفك بالقسم الذي ترتعد له فرائص الشياطين ـ ولستَ منهم ـ أن تنتصح بنصيحة صاحبنا « هولنغورث » وألا تفقد رصانتك معي ـ وأنت الرجل الوقور ـ فتصرخ بوجهي صرخة البهلول : هراء ! ما هذا أدباً ... هذا كذب ..! فاني لم أكن قط من شيوخ محارب ، الذين قال فيهم الأخطل : ينقشون بلا شيء كضفادع الليل ، فاذا أردت أن نواجه العقاد كما يراجه الطاغية ربه بأسْلاء آثامه ، فلك ذلك ، ولتسلم عيونك !

وإليك ما نقول !

إن الاشكال الفكري الذي يعانيه العقاد ـ في معظم ما كتب ـ هو أنه لا يستطيع أن يدرك حتمية الأحداث في التاريخ البشري ، وأن لكل عصر من العصور علامات . لأن حكاية الانسان حلقات لا تنفصم ، وهي حكاية الدهر الطويل . وبالرغم من أن العقاد قد أشار ـ في « عبقرية المسيح » ـ إلى أن لكل حدث من الأحداث الانسانية الكبرى مقدمات تمهد لحدوثه ، إلا أنه لم يستطع أن يشير في كتابه هذا إلى مقدمات الحدث المسيحي ، إلاّ من حيث تحجر الأشكال والأوضاع في المجتمع الذي ظهر فيه السيّد المسيح وتلك هي الاشارة السلبية التي ينبغي أن تتلوها إشارات من الطرف الآخر في الايجاب . ويشبه ذلك أيضاً ما كتبه في العصر الذي سبق ظهور النبي محمد في كتابه « عبقرية محمد » . وعلّة ذلك أن العقاد لا يسير في هدي فلسفة من الفلسفات ، كي يتم بها انسجام نظرته إلى الحياة والكون ، أينما شاء ، وفي أي وضع من الأوضاع . فهو يستنجد أحياناً بنشر الألفاظ وطيها ، والاهتمام بالألفاظ وحتى بالخرافة ليثبت ما ينتهي إليه من باطل التعليل . فهو ميكيافيلي النزعة ـ إن جاز التعبير ـ فيما يريد أن يذهب إليه من الآراء .

والمسيحية ـ في رأينا ـ قد ظهرت بعد مقدمات طويلة في حساب الزمن ، وإرهاصات فكرية ظهرت في أثينا وروما والاسكندرية والشرق على وجه العموم ، حتى أن بعض آباء الكنيسة يعتقدون أن الفلسفة الأرسطوطاليسية ما هي إلا توطئة للعهد المسيحي وإيماءة تاريخية للخلاص الذي سيتم على يد ابن الانسان . وإن الأسفار المتأخرة من العهد القديم كسفر دانيال ، يتضمن مثل هاتيك الاشارات إلى ظهور هذا العهد . فان هذا المخلّص لم يعد في هذه الأسفار المتأخرة شخصية على

الطراز المـــوسوي ، كشخصية داود أو سليمان الحكيم ، ولكنها شخصية غامضة فيها الكثير من العناصر العلوية التي سيتيح لها الرب أن تلبس لباس الجسد ، لتحكم العالم في عهد ذهبي جديد . وهذا جانب ممتع فيه عمق المخيلة الانسانيـة في تطوير الميثولوجيا على وجه القرون .

ولو رجعنا الى بلاد فارس ، لرأينـــا اسطورة النبي « سوسبوش » الذي سيظهر ليخلّص العالم من الشرور ويحكم بالعدل ، بعـــد ان تخرب الارض الشرور والآثام . كما أن هنالك أيضاً ، « عقيدة الهـــازار » ـ أي الألف ، وهي التي تقول بأن كل نبي من الانبياء لا يستطيع أن يحكم العالم أكثر من ألف عام ، ليفسح الطريق إلى نـــبي آخر ، وذلك على مراحل تطورية متصاعدة لا تقف عند حد حتى نهاية عمر العالم وعندئذ سيهبـــط الفردوس إلى الارض ، ويعيش الناس في سعادة وأمن وسلام ، يتكلمون لغـــة واحدة ، ويحكمهم قانون واحد ، في ظل دولة واحدة ، ولكن سيسبق هـــذا العهد كوارث رهيبة تشيب لاهوالها الماحقة صياصي الجبال . لان الابليس الأعظم « داهكا » سيحطم آصار القيود التي تشده منذ عهود سحيقة ، فيهبط الى الارض ، ويثـــير فيها النقمة والأوبئة والآلام .

هذا الى كثير من الاشارات المحجبة والمكشوفـة ، التي وردت في الاساطير الشرقية القديمة ، والتي عاصرت مولدالسيد المسيح أو سبقته بزمن قليل . وكل ذلك ينبغي أن نضعه في موضعه المحتوم ، الذي وطأ للعهد المسيحي ، فبقي النـــاس يرقبون لاهثين ، حتى ولد الطفل الالهي في المذود الحقير .

فالعقاد ـ بثقافته النصوصية ـ لم يلتفت في كتابه عن «عبقرية المسيح » إلى هذا الجانب الغني من الاساطير ، وإلى المغزى الذي تحتويه ، عندما تهن أو تقوى في عصر من العصور . لأن فكرة الخلاص وشخصية المخلّص قديمة قدم الطغيان عـــلى الارض ، ولكن ذيوعها في الادبيات التي عاصرت السيدالمسيح أو سبقته بزمن قصير ، له مغزاه الذي ينبغي ان يتأمله كل من يعرض لمثل هذه الدراسات . فان اسطورة الفادي او المخلص ـ بمعناه المسيحي ـ لم توجد في العصور البعيدة ـ عند الفراعنة والبابليين مثلاً ـ لأن أسطورة الخطيئة التي نجمت عنها الفدية أو الخلاص ، لم تكن قد اتضحت في الخيال البشري بعـد . فكان الكاهن البابلي ينشد في هيكله ويقول :

« ايها الرب المعروف ، أو غير المعروف ،
إن آثامي كثيرة ، وخطيئـــاتي جسيمة ؛
وإني أعرف الآثام الـــتي ارتكبتها ،
بيد أني لا أعلم عن خطيئتي شيئـــاً . » *

فالخطيئة وهي الرحم الذي نتج منه الخلاص ، ظلت تتضح شيئاً فشيئاً مع العصور ، حتى بلغت ذروتها في القرن الاول قبل الميلاد ؛ وهذا معنى قول بعضهم : « ان الانسان حيوان متخيل »، كالاستاذ« أرنولد لاثام » وغيره من فلاسفةالتاريخ .

ونحن إذ نسجل هذه الاشارات المقتضبـــة للأساطير التي وشّعت العصر المسيحي ، إنما نسجل ابرزهـــا وأقواها على التفاعل والتأثير . كما ان عدم الاهتمام بالاساطير ـ ذلك السيل المتدفق ابداً من مرابض الآلهة ـ معناه إسقاط أعز ما لدى الانسان من تطلع وأشواق . فالأسطورة ألسنـة من لهيب الواقع . فهل يدرك ـ بذهنيته الحرفية المتخلفـة ـ المغزى الانساني العميق من وراء تلك الظلال ؟ أم سيظل يقـدم لنا كل عصر سبق ظهور بطل من أبطال التاريخ بأنه « كان عصراً متحجر الأوضاع والاشكال » كعصر السيد المسيـــح ، أو « عالماً متداعياً قد شارف النهاية .. فقد العقيدة كما فقـد النظام » ، كعصر النبي محمد ؟ وذلك حسبه لأنه ينجيـه من التحليل الذي لا تقوى عليه الأذهان الراكـــدة ، المطمورة تحت ركام النصوص والمتون .

وأخيراً ، فقد خسر العقاد في كتابه هـــذا ، كما يخسر المبطلون في كل حين ، إذ كشف لنا فيه : أن مقدار لسانـه فاضل عن مقدار علمه ـ كما يقولون ـ . ولو اعتصم بالصمت لكان أبلغ ـ ولو سمع حكمة أشعيا النبي « وفي مسالكهم حطم ومشقة » لاتعظ وآثر السبيل الوطيد !

ثم ماذا أقول ؟

أقول ، وأصرخ بوجهه صرخة هوجاء « بهلوان بارع أنت يا عقاد ! »

بغداد — **محي الدين اسماعيل**

* عن المستر م . جسترو ، الترجمة الانكليزية .

الاسلحة والاطفال

قصيدة طويلة لبدر شاكر السياب

مطبعة الرابطة – بغداد – ٣٠ ص

٥

كان الشاعر العراقي بدر شاكر السياب من السابقين الى النهج بالشعر العربي المعاصر نهجاً جديداً مبنياً على الوعي الشامل للقيم الانسانية والحضارية والتطور الاجتماعي حسب مفاهيمها العلمية الحديثة . ولعله في هذا المجال اكثر الشعراء المجددين دأباً ، واوسعهم افقاً .

واحسب انه ، الى ذلك ، متحرر من «الوثنية» المعهودة في بعض الادب اليساري .

واسلوبه مزيج متقن من الواقعية والرمزية ، بحيث تبرز الصورة المادية في جوها الوجداني الخاص ، وبحيث تسمع في الوانه غناء وترى في غنائه تلويناً .

يبدأ الشاعر قصيدته او ملحمته « الاسلحة والاطفال » بوصف حياة الاطفال وما فيها من جمال وطهر وامل وحيوية وتوثب ، ووصف مشاهد الامومة والأبوة وصفاً دقيقاً حياً :

عصافير ام صبية تمرح
عليها سنى من غد يلمح ؟!
وافدامها العاريه
محار يصلصل في ساقيه
لاذيالهم زفة الشمأل
سرت عبر حقل من السنبل
وهمسة الخبز في يوم عيد
وغمغمة الام باسم الوليد
تناغيه في يومه الاول

فالشاعر في تشبيهه الاطفال بالعصافير يعطيك صورة خاطفة موجزة عن تلك المجموعة المرحة من المخلوقات . ولكن في هذا الايجاز بلاغة ودقة في التصوير لانه ينسجم مع طبيعة ذلك الوضع الذي تختلط فيه الحركات والاعضاء والاصوات اختلاطاً سريعاً متتابعاً ، بحيث لا تتبين من المشهد غير التوثب والسرعة . ولهذا كانت صورة الشاعر ، على ايجازها ، كاملة في الذهن لتلك المجموعة من الاطفال التي لا همّ لها غير الركض والوثب والثرثرة والصراخ .

وكان دقيقاً جداً في اقتصاره على وصف اقدام الاطفال واذيالهم لانها ابرز ما يتبينه الناظر منهم ، وهم على تلك الحال . فالاقدام اداة الركض والوثب ، وهما اوضح مظاهر الحركة واوسعها في تلك المجموعة ، والاذيال هي التي تتأثر من هذه الحركة بشكل ظاهر . اما باقي الاعضاء والاجزاء والحركات فتندمج في الصورة العامة . ولو شاء رسام ان يصور هذه المجموعة من الاطفال لما خطت ريشته معالم الصورة على غير هذا النحو .

هذه هي معالم الصورة المادية . اما ايماءاتها الوجدانية فلا تقلّ عنها جمالاً ودقة .

لقد استطاع الشاعر ، بتشابيه البليغة ، ان يرسم الجو المعنوي للصورة بالوان مادية ، فلا هو اغرقها في الرمز حتى الابهام ، ولا هو جعلها تضيق وتنكمش في المعالم السطحية حتى الجمود .

لقد شبه اقدام الاطفال بمحار يصلصل في ساقية . وهو تشبيه يبعث شعوراً بالنقاء والنعومة والوداعة ، من لون المحار الابيض اللماع ، يختلط بشعاع الشمس وصفاء الماء متكسراً في تموجات الساقية ، ومن صلصلة ذلك المحار تمتزج بوسوسة الساقية الوادعة المترنمة .

ومن لم يشهد حقلاً من السنبل تمر عليه نسمات الشمأل في اصيل صيفي ، ومن لم يسمع همسة الخبز في يوم عيد بالريف ويشم رائحته ، لا يستطيع ان يلمس صورة « العافية » التي يقدمها الشاعر في هذا المقطع ، على حقيقتها .

اما غمغمة الام باسم وليدها في يوم الاول فنغمة يمتزج فيها الحنان بالفرح والامل .

وان النعومة والنقاء والعافية والحنان والفرح والامل هي جوّ الشعور الذي يبعثه منظر الاطفال ، وهو الذي يرسمه الشاعر في ذلك المقطع ، فيراه القارىء بعينه ويحسه بوجدانه .

ويمضي الشاعر في وصف الاطفال بهذه الريشة الدقيقة البارعة ، في مختلف مواقفهم واوقاتهم ، في الصباح عند اليقظة ، وفي السهرة ، وعند استقبال الأب حين عودته من عمله ، وحول الام ، وهي تشعل الموقد في الصباح ، وغير ذلك من مشاهد ومواقف :

وكم من أب آيب في المساء
الى الدار من سعيه الباكر
وقد زم من ناظريه العناء
وغشاهما بالدم الخاثر
تلقاه في الباب طفل شرود
يكركر بالضحكة الصافيه
فتنهل سمحاء ملء الوجود
وتزرع آفاقه الداجية
نجوماً ، وتنسيه عبء القيود

* * *

وهم في ليالي الشتاء الطوال .
ربيع من الدفء والعافيه
تلم العجائز فيه الورود
ويلمحن عهد الصبا ثانيه
وهم في الصباح

خطى خافقات على السلم
وايد على اوجه النوم
تدغدغها في مزاح
واغنية من اغاني الطريق
بلحن سوى لحنها الاول
وشأو من الصوت مستعجل
وهم رفقة الام اذ تستفيق
واذ تشعل النار في الموقد
الـــخ . . .

واراني اوشك ان افسد روعة هذه الابيات بالشرح والتعليق . حسبي ان اقول شيئاً على هامشها .

ان الشاعـر ، في هذه اللفتـــات والملاحظات ، يبـــدو عميق الشعور بالحياة شديد التعلق بها عظيم الانفعال باشواقها ومعانيها ، يتذوق حتى تفاصيلها البسيطة بشوق وشغف وحرص . وهذا ، لعمري ، ينبوع ثرّ للفن .

ثم لا يزال الشاعر يمعن ويسهب في هذا النمط من الوصف حتى يستكمل صورة ذلك العالم الحلو المحبب ، عـالم الطفولة ، وحتى يستفز انسانية القارىء الى اقصى ما فيها من حب الحيـــاة والشعور بالجمال والعافية ، ثم ، وانت في صميم هـــذه الدنيا البهيجة المشمسة المعطرة المطمئنة ، تود أن لا ينغصهـا منغص ، وان لا يخالطها غير الامعان في الامل والامعان في الحياة والتعمير والانشاء ، يهزك الشاعر لتتطلـع الى سفين تعول في المرفأ ، وقد اصطف فيها الجنود يلوحون باكفهم لحبيباتهم وامهاتهم مودعين وداع الذي لا يعـــود ؛ ثم تنطلق صفارات الانذار تحمـل طليعة الذعر والهول ، ويمتد ظل الموت عـلى مطلع كل حياة ، فاذا بذلك العالم الحي الحلو المحبب ركام مختلط من الانقاض والاشلاء ، اشلاء الاطفال والامهات ، قد غابت عنها الاصوات الحلوة مـن ثرثرة وضحك ووقع اقـدام وحفيف اذيال ، وحلت محلها اصوات الرصاص والانهيار ، يتبعها نداء التجار : « حديد عتيق .. رصاص عتيق للبيـع ..» ..

اتلك السفين التي تعول
على مرفأ ناوحته الرياح
تلوح منها اكف الجنود
لالف ك « جوليت » فوق الرصيف :
« وداعاً وداع الذي لا يعود ! »
وام كما استوحشت في الخريف
وراء الدجى لوحة عاريه
وفرت عصافيرها الشاديه !

ارجو ان يتوقف القارىء قليلاً عند هذه الصورة ، او اللوحة الحية الـــتي يرسمها الشاعر للام الفاقدة .

* * *

عصافير ؟ !
بل صبية تمرح
واعمارها في يد الطاغيه
والحانها الحلوة الصافيه
تغلغل فيها نداء بعيد
« حديد عتـ ... يق
رصا ... ص
حد ... يد »

* * *

« حديد عتيق . . .
حديد عتيق ! »
رصا ... ص فحتى كأن الهواء
رصاص ، وحتى كأن الطريق
حديد عتيق .

* * *

اري الفوهات التي تقصف
تسد المدى واللظى ، والدماء
وينهل كالغيث ملء الفضاء
رصاص ونار .. ووجه السماء
عبوس لما اصطك فيه الحديد .
حديد ونار ، حديد ونار ..
وثم ارتطام ، وثم انفجار ،
ورعد قريب ، ورعد بعيد
واشلاء قتلى ، وانقاض دار !
حديد عتيق لغزو جديد .

والشاعر بارع الى حد بعيد في رسم صورة النقيضين ، بحيث لا تنفك تمعن في استجلاء معالم الجمال والخير وتمعن في الشعور بها ومخالطتها ، من خلال شعور المقارنة الذي يفرضه الشاعر عليك فرضاً شديداً ، وانت تستجلي معالم البشاعـة والشر وتمعن في كراهيتها ، والعكس بالعكس .

رصاص ... ليخلو هذا الطريق
من الضحكة الثرة الصافية
وخفق الخطى والهتاف الطروب ،
فمن يملأ الدار عند الغروب
بدفء الضحى واخضلال السهوب ؟
لظى الحقد في مقلة الطاغيه
ورمضاء انفاسه الباقيه
يطوفان بالدار عند الغروب
واطلالها الباليه !
« حديد عتيق .
نحاس عتيق »
واصداء صفارة للحريق !
« حديد ، حديد »
وام تبيـع السرير العتيق ،
تبيـع الحديد الذي امس كان
مهاداً عليه التقى عـاشقان . .

* * *

امن حيث كان التقاء الشفاه
على الحب ، ينسجن خيط الحياة —
يحوك الردى غزله الاسودا
دماً او دخاناً ؟.. يحوك الردي
شباكاً من النـــار حول البيوت
على صبية او صبايا تموت ؟

الا ان الشاعر لا يدعك عند هذه الدنيا البشعة مـــن الموت والدمار والوحشة والقنوط . انه مؤمن بمستقبل الانسانية وقوة الشعوب واقتدارهـا على حماية اطفالها من اسلحة الطغاة ، انه لا يدفع بك الى اليأس ، بل هو يهيب بانسانيتك وابوتـك وحبك للحيـــاة وللاطفال وحقدك على المدمرين المخربين ، ان تعمل مع العاملين وتكافح مـــع

المكافحين لاستخلاص الحرية من الطغاة والحقوق من الغاصبين :

باقدام اطفالنا العاريه
يميناً ، وبالخبز والعافيه
اذا لم نعفر جباه الطغاه
على هذه الارجل الحافية
وان لم نذوب رصاص الغزاه
حروفاً هي الانجم الهاديه
« فنهن في كل دار كتاب
ينادي : قفي واصدإي يا حراب »
وإن لم نضو القرى الداجيه
ولم نخرس الفوهات الغضاب
ونجل المغيرين عن آسية ..
فلا ذكرتنا بغير السباب
او اللعن اجيالنا الآتيه

مرة ثانية يستوقفني شعور الشاعر الشديد بالحياة وتعلقه العظيم بها من ذلك القسم الذي تضمنه البيت الاول من هذا المقطع :

اي انسان سوي لا يستحلي ان يداعب تلك الاقدام ويضمها الى قلبه، وحتى ان يقبلها ؟ .. ثم اية التفاتة من ضمير الحياة تلك التي جعلت الشاعر يجمع في القسم بين اقدام الاطفال والخبز والعافية ؟ !

اني لأسمع ، من خلال هذا القسم، هدير الحياة باقوى واروع عناصرها واشواقها يتدفق بين جوانح الشاعر .

ثم الا يروقك هذا الخلق السياسي السويّ في اعتزاز الشاعر بشرقيته ، وبالمعركة الانسانية الكبرى التي تقودها اليوم آسية لتحرير الانسانية ؟

لعل هذا الخلق هو بعض ما جعلني احسب ان شاعرنا متحرر من تلك «الوثنية» .

لكن لا بد لي من القول انه انسان يتطلع الى « العالم الارحب » ، ومن هنا كان اعتزازه بشرقيته وبنهضة آسية في وجه الاستعمار .

سلام على العالم الارحب
على الحقل ، والدار ، والمكتب ،
على معمل للدمى والنسيج ،
على الفش والطائر الازغب ،
على التوت وسنان فيه الاريج
ووقع المجاذيف في المغرب ،
على زهرة في وساد العروس .
على صبية في انتظار الاب ،
على شاعر تستحم الشموس
بعينيه يصغي الى جندب ؛
سلام على العالم الارحب
سلام على « الدون » فاض النعيم
ورنت اعاريد في ضفتيه ..

* * *

سلام على الصين والحاصدين
وصياد اسماكها الاسمر
وما انبتت من دم الثائرين
وما افتر في البيرق الاحمر ؛

* * *

سلام لان الربيع
يمر بوديانا كل عام ،
وما زال قوس الغمام .
واجدى على الارض، من ان يبيع
طواغيت « وول ستريت » الحديد ،
عشيش جديد ؛

ارأيت الى هذه الاشواق التي تشد روح الشاعر الى الحياة السوية ، الى الارض وجمالها وخيرها وبركتها ، وتبعث في نفسه هذا الايمان وهذا العزم ؟

ثم ارأيت الى هذا « التوت » الذي ينبعث بالاريج الوسنان ؟ لم يعتد الشعراء على التغني بالتوت ، بل تغنوا بالتفاح والدالية والليمون وغيرها من الاشجار الجميلة الفواحة ، اما التوت فليت شعري اي ذكرى طبعت في نفس الشاعر الحساسة مشهداً له وسط هذه الهالة ؟! لكن لعل التفات الشاعر الى التوت سببه شيء آخر غير الذكريات . لعل هذا السبب هو ما في شجرة التوت من قوة وقدرة على تحمل قسوة العناصر الطبيعية . ان فيها شيئاً كثيراً من معاني الصبر والكفاح

صدر حديثاً في سلسلة :

كنوز القصص الانساني العالمي

طريق التبغ

للكاتب الاميركي الشهير آرسكين كالدويل

قصة انسانية خالدة تصور حياة المعذبين في الارض في ولاية جورجيا الاميركية . وقد بلغ ما بيع من نسخها نحواً من خمسة وعشرين مليون نسخة ، وأخرجت على الشاشة السينمائية ، ومثّلت على مسارح نيويورك وباريس ولندن ، فاستمر عرضها عدة سنوات متواصلة من غير انقطاع ، كما ترجمت الى معظم لغات العالم الحية .

نقلها الى العربية الاستاذ

منير البعلبكي

الثمن ليرتان — دار العلم للملايين

والاعتماد على النفس والعطاء بلا من"، والتعلق بالحياة .

ثم أرأيت الى هذا «العشيش»؟ انه، على تفاهته ووهنه ، اضخم واقوى على البقاء واجدر به من طواغيت « وول ستريت » وحديدهم ونارهم . وما ذاك الا انه رمز الحياة والبناء ، وهم رمز الموت والدمار ، ولا بد للانسانية من أن تحيا وان تبني .

ولولا الذي كدسوا من نضار
به يستضيئون دون النهار
تجوع الملايين عن جانبيه
وينحط ، في كل يوم، عليه
دم من عروق الورى او نثار
كذر الغبار —
لما هزت الامهات المهود
على هوة من ظلام اللحود
ولم تذرف الدمع عبر البحار
وعبر الصحارى نساء الجنود
ولا شردت نومة العاشقين
كوابيس من اعين الهالكين
ولاساءل الام طفل غرير :
« الا بلدة ليس فيها سماء ؟ »
— فلا قاذفات المنايا تغير
ولا من شظايا تسد الفضاء —
ولم تحصد النار حي الزنوج
ولامح فيه الرصيف الدماء
ولا اختض في الصرصر اللاجئون
ولألاء « يافا » تراه العيون
وقد مال من دونه الغاصبون
بما أشرعوا من عطاش الحراب
وما استأجروا من شهود كذاب
وما صفحوا بالردى من حصون
سلام على العالم الارحب
على مشرق منه او مغرب .
سلام «لآفون (١) » روى عرق
شكسبير والزهر والداليه .
افق شاعرَ النور ، ان الشروق
تهدده غيمة داجيه .
سلام لباريس روبسبيير
والوار والغابة الحالمه
وعشاقها في المساء الاخير
تذريهم قوة غاشمه
كدوامة من رياح السعير
على « تونس » من لظاها ظلال
وحول « الرباط » المدمى هدير
وفي جيرة الصين (٢) حل انخذال
بقطعانها الفظة الضاريه
لك المجد يا آسيه !
سلام لـ « فينيس » والكرنفال
واضوائه الثرة الزاهية
وهمس المحبين بين الظلال
وفي دفء قمرائه الضاحية
وما طاف من اغنيات الزنوج
بشطيه وانساب عبر المروج . .

الا ترى وسط هـذا « العالم الارحب » الجميل المتآخي المهدد ، في وقت معاً ، بالحرب والموت والدمار — الا ترى « مجد آسية » يشمخ ثم يشمخ ، ليرعى هذا العالم ويحفظ تلك القيم ، واذا باقدام الاطفال اياها :

مصابيح ملء الدجى تلمح ،
هتكنا بها مكمن الطاغيه
وظلماء اوجاره الباليه ..

شد ما اتحسس روح « الثأر » في الشاعر رائعة عزيزة ، موغلة في حقدها على الظلم والطغيان ، في تعمده المقارنة بين اقدام الاطفال وجباه الطغاة ، وبين رونقها وظلام نفوسهم . انها كالمقارنة بين « العشيش الجديد » وحديد طواغيت « وول ستريت » . انها المقارنة بين الايمان والجحود ، وبين الحياة والموت .

فقد لاح فجر انطلاق العبيد
وانا رفعنا لواء السلام ،
رفعناه .. فليخسأن الظلام

* * *

« رصاص ، رصاص ، رصاص ، حديد
حديد عتيق » .. *
لكون جديد !

انها الصورة الثالثة من الملحمة ، صورة المستقبل المؤمل ، وقد بدت طلائعه في عهد الشعوب على التآخي والسلام ، وتقويض آخر ركن من اركان الاستعمار والطغيان .

هذا عرض موجز لملحمة « الاسلحة والاطفال » . ولا يفوتني ان اقول ان الشاعر يسير في سياق الملحمة طويل النفس ، لا يلهث ولا يتعب ، ولا يعثر بالقارىء ، مهما تغلغل به في آفاقها.

بقي ان اورد سؤالاً لا مفر لي من ايراده : ترى هل يكون هذا الكون الجديد العتيد نهاية تلك الملايين من سني الانسانية التي قضتها في التذابح والتناحر والعبودية ؟

ان « تصميم » المسألة بهذا الشكل الرياضي يجعلها اقرب الى المسرح منها الى الواقع .

انا لا انكر التطور والتقدم ، وان الانسانية مقبلة حقاً على فجر جديد و « كون جديد » منهما . ولكني لا ادري ما هو وجه التلازم والترابط بين هذا التقدم والتطور وبين السلام بمعناه الانساني الاخلاقي ، من اخاء وتواد وتعاطف ؟

لقد كانت الثورة الفرنسية هي ايضاً فجراً لانطلاق العبيد وكانت « كوناً جديداً » مرت به الانسانية ، لا بل كانت اروع ثورة من ثورات التحرر ، وحققت أوسع خطوة من التقدم والتطور ، وغنى لها الشعراء مثل هذا الشعر واروع ، ومع ذلك كان كونها الجديد هو نفسه منبت هذا الطغيان

---

(١) آفون : نهر في بريطانيا يمر بقرية الشاعر « شكسبير » .

(٢) جيرة الصين : الهند الصينية

الذي يحمل عليه شاعرنا اليوم ، ومجال هذه الحرب التي تتهيأ على اقسى وابشع اشكال الحرب لتمزق افلاذ اكبادنا وتجعل من اقدامهم الوضاءة الطاهرة طعاماً للنار والحديد . وكان فجرها مطلع هذا الظلام الذي عم الانسانية مئات من سني الاستعمار والهول والرعب والعبودية ، وكان من أيامه الحرب الكونية الاولى والثانية ، وهذه الحرب التي يهيئونها اليوم .

ولقد كانت الحروب الصليبية ، ان صح ما يجمع عليه المؤرخون ، من اكبر العوامل في تعميم الحضارة الانسانية وتوسيعها بسبب الاختلاط والاقتباس ، ومن ثم كانت من اكبر العوامل في تهيئة الاسباب لعصر النهضة .

واذا صح ايضاً ما يؤكدونه ويجمعون عليه ، فان نهضة آسية اليوم ما كانت لتكون لولا عبوديتها بالامس .

ثم ان الحوادث الجارية في المشارف التي اخذ يطل منها الكون الجديد ما زالت تستبق احلام الشعراء الانسانيين ببوادر من التطاحن والتناحر الجديدين .

وبعبارة واحدة اقول : ان قصة التقدم والتطور والتحرر هذه كانت ، ولن تزال ، قصة الدموع والآلام والرعب والطغيان ايضاً . وهذه القصة العجيبة التي تحيط البسمة بالدموع وتجعل السلام متوقفاً على الحرب والامن مرهوناً بالخوف ، هي القصة التي جعلت من حياة اديب الانسانية الشجاع المناضل مكسيم غوركي مأساة رائعة . وما زالت تورد كل مفكر كريم القلب عفيف النفس انساني الفكرة موارد هذه المأساة .

اما السلام المطلق والخير المطلق فمن السذاجة ومن التحايل على مرارة الواقع ان نتصورهما النهاية المنتظرة لهذا الفلم العجيب الذي يسمونه « الحياة » كما يجري في الافلام السينمائية والمسرحيات التمثيلية ، حيث يتعزى « الانسان » عن خيبته في انسانيته بتخيل انسانية لا وجود لها .

وعزاء للشعراء ، ووارحمتا للاطفال !

صادق صعب

كتب وردت الى المجلة

(وسينقد بعضها في اعداد قادمة)

* كتب علمية وادبية واقتصادية مختلفة اشترك في ترجمتها عدد من الكتاب والادباء المصريين واصدرتها دور النشر في مصر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .
* فلسفة الزكاة عند المسلمين — بقلم عبدالعزيز سيد الاهل
دراسة — المكتب التجاري ببيروت — ٦٨ ص
* ديان بيان فو — بقلم صلاح دهني
مشاهد مسرحية — دار اليقظة العربية بدمشق — ١١٦ ص
* الحقد — بقلم احمد مرزوق
مجموعة اقاصيص — مطابع عابدين بالاسكندرية — ٩٤ ص
* عامر وأسماء — بقلم يوسف امين قصير
مسرحية شعرية — المطبعة العصرية ، الموصل — ٥٠ ص
* من تاريخنا — بقلم محمد سعيد العامودي
دراسات — دار مصر للطباعة — ١١٨ ص
* قصة انسان من لبنان — بقلم مصطفى فروخ
رواية — منشورات مكتبة المعارف في بيروت — ٧٦ ص
* في زورق الحياة — بقلم محمد يوسف حمود
ديوان شعر — مطبعة الكشاف ، بيروت — ١٥٠ ص
* آلام ابيسكوبو — بقلم جبرائيل دانتزيو
رواية ترجمة محمد كامل صالح — دار الرواد بدمشق — ١٧٦ ص
* الحنفسة الذهبية — بقلم ادغار ألن بو
قصص نقلها الى العربية نجاتي صدقي — دار الكتب — ٢٠٠ ص
* اعاصير في السلاسل — بقلم سليمان العيسى
ديوان شعر — مطبعة المعارف ، حلب — ٢٣٦ ص
* حصاد القلم — بقلم ابو القاسم محمد كرو
مقالات ودراسات — نشر مكتبة الفرجاني بطرابلس الغرب — ١٧٤ ص
* الاتجاهات الحديثة في الاسلام — للمستشرق جب
ترجمة كامل سليمان — منشورات دار الحياة ، بيروت — ٢٢٤ ص
* الأمل الضائع — بقلم سلمان هادي الطعمة
قصة شعرية — مطبعة دار القدسي — ١٤ ص
* الوان من القصة القصيرة — ترجمة عباس محمود العقاد
قصص مترجمة — دار اخبار اليوم بالقاهرة — ٢٣٢ ص
* حليف مخزوم — بقلم صدر الدين شرف الدين
قصة تاريخية — مطبعة العرفان ، صيدا — ٢١٢ ص
* قافلة الاحياء — بقلم ادمون صبري
مجموعة قصص — منشورات دار الطليعة — ٥٨ ص
* ربيع الخريف — بقلم سعيد تقي الدين
مجموعة قصص — دار الشرق الجديد — ١٣٨ ص
* تحت قناطر ارسطو — بقلم امين نخله
مقالات — مطبعة « الجريدة » بيروت — ١٤٢ ص